زنبقة الغور

رواية اجتماعية متتابعة

بقلم

— ملخص ما نشر سابقاً —

فرّت ساره من بيت ابيها الجمّال في مدينة جنين لحادث اصابها ولضغط زوجة ابيها عليها وظلمها . فاقامت في قرية في مرج ابن عامر لتستر عارها ريثما يقضي امرها . فولدت طفلاً ميتاً ثم رحلت تقصد ابن بلدها المعلم الياس بلان في قرية صفوريه فعلمت انهُ غادرها وترهب في الناصرة فقصدته في ديره طالبة مساعدته فوضعها في الدير تخدم . ثم استهواها فاستسلمت اليه . وفرّ بها من الدير الى قرية كفر كنا وقد وعدها ان يتزوجها ولكنه تركها هنالك غادراً بها وهرب الى لبنان . فوضعت ساره بنتاً وجاءت بها الناصرة فنبذتها عند باب دير الايتام . وراحت تفتش عن خادعها في لبنان وسوريا فلم تجده فعادة بعد سنين طويلة الى الناصرة فراها القس جبرائيل مبارك في باب ديره فارتعش وعرف بها الفتاة التي اغواها في صباه يوم كان ابوها جمالاً يخدم اباه في جنين . فكتمها نفسه وبرق لها فادخلها الدير لتخدم فيه . وهنالك تعرفت بفتاة تدعى مريم تخدم في دير الايتام فحنت لها جوارحها . وبينما ساره نائمة اثناء رعيها المواشي لدغتها حية واشرفت على الموت . فاستدعت القس جبرائيل واعترفت له وتوسلت اليه ان يستدعي مريم لتودعها واوصته ان يسأل عن اصلها ويعتني بها فوعدها القس خيراً وكشف لها نفسه مستغفراً عما جناه عليها في صباها . ووضع القس مريم تحت عنايته حسب وصية ساره فسألها عن حياتها في الدير فشكت اليه ما تقاسيه هنالك من الضغط .

— تابع ما قبله —

— لا . لا . الرئيسة تحبني كثيراً .

— انضربك المعلمة ؟

— ضربتني مرة فاخذت القضيب من يدها وكسرته · فركعتني على الحصى اربع ساعات ·

— لذلك تكرهين الدير ؟

— وحبستني في القبو يومين بلا اكل وشرب لاني قلت انها مثل الجنية تنتش عن ماردة لتربطه بمسبحتها · كنت اعتني بنرفتها وبثيابها ؛ فاعرفها · دخلت عليها مرة فرأيت المارد عندها · المارد القس يوسف خادم الدير — يا ربي · يا ربي · القس الذي يأكل جسد الرب كل يوم ولا يشبع رأيته ···

فاظلم جفن القس جبرائيل وقاطعها قائلاً ·

— انتِ تكرهين المعلمة اذاً ولا تكرهين الدير ·

— بلى · اكره المعلمة والدير ·

— ولماذا تكرهين الدير ؟ اخبريني ولا تخافي ، فلا ابوح بذلك ·

فرفعت مريم رأسها قائلة · واذا بحث لا يهم · انا دائماً اقول للراهبات ان الدير مثل الحبس وقد ضقت فيه صدراً · احب ان انفرج في المدينة · احب ان اتنزه في البرية · هذه اول مرة خرجت من الدير · ولولاك لما آذنت الرئيسة بذلك · هذه اول مرة مشيت في اسواق المدينة · يا عمري ! ما احلاها وما احلى دكاكينها وما احلى روائحها · وما اجمل الزهر في الحقول والورد في مصاطب البيوت · هنيئاً لاصحابها — قالت هذا وهي تصعد الزفرات

— وهل تكونين مسرورة في الدير اذا أذن لك بتنزيهة كل اسبوع ؟

— لا · لا · لا احب الدير ابداً · اكره روائح الغرف فيه ، واكره روائح الزيت والبخور ؛ واكره سكوت الراهبات — ادخلتني الرئيسة مرة الى غرفتها فاجلستني الى جنبها واخذت تقبلني وتضمني الى صدرها وهي ساكتة فخفت منها وصرخت ، فهمست في اذني كلمات لم افهمها

وطفقت اذ ذاك تبكي وهي تحجب وجهها بيديها ·

— وهل اخبرتِ احداً غيري ؟

— اي شيء ؟

— ان الرئيسة تحبك

— اخبرت ساره فقط ولكن الرئيسة تحب زلفا كما تحبني وزلفا اخبرتنا كلنا ·

— الرئيسة تحب كل البنات يا بنتي—هي امكنّ والام تحب اولادها· فلا يشق عليك اذا احبت غيرك مثلك

— سامحني اغفر لي — واخذت يده تقبلها وهي تقول ·

خلصني من الدير · خلصني من الدير · آه ما اعلى روائح الربيع في البرية — وقد قالت الرئيسة انها تلبسني ثوب المبتدئات فقلت لها الكفن احسن — الله يرحمك يا ساره · وعدتني منذ اسبوع انها تخلصني من الدير !

وشرقت مريم بريقها وهي تمسح بكمها الدموع المتساقطة عَلَى خديها ·

فاخذ القس جبرائيل يدها وقد اعجب بنحافتها وانيق سبكها ولدن انامليها فقال وهو يرمقها بعين العطف ويكظم غيظه · ساخرجك ان شاء الله

من الدير · ليطمئن بالك ·

فقبلت مريم يده شاكرة · ودخلت الدير وهي تضطرب مما تجاذب نفسها من الهواجس والعواطف المتضاربة · فكّرت بساره فاغتمت وذرفت الدموع · فكرت بحالها وبقرب خلاصها من الدير فخفق قلبها جذلاً وخفت نفسها سروراً · وفكرت بالراهب فمثلته امامها بنظراته وبصوته وبعطفه وحنانه فاحست من نفسها بارتياح يمازجه شعور لم تدرك سره ومعناه · لم يخاطبها احد حتى ذاك اليوم بمثل صوته الناعم غير ساره · ولم ينظر اليها احد بمثل عينه الرؤوفة غير ساره · واما نظرات الراهب وكلماته فلمست في قلبها وتراً جديداً فتموجت رناته في عروقها فاهتزت لها كل جوارحها · احست ان في صدرها عصفوراً طليقاً فمد الراهب اليه يده وفك جناحيه · فراحت تلك الساعة تحلم الاحلام وتمثل لنفسها نعيماً ربيعه لا يزول وجماله لا يحول ·

دخل القس جبرائيل الى الدير مضطرب النفس فخرج منه يختدم غيظاً · حدث الرئيسة بشأن الفتاة فتأكد اولاً اصلها · رآه مسجلاً في سجل الايتام واللقطاء في يوم عيد الصليب سنة ١٨٨٥ · طفل واحد لا غير · ابنة شهر او اقل · وجدت على باب الدير صباح ذاك اليوم · فعمدت ودُعيت مريم وهي لم تزل في الدير · هي مريم بعينها · مريم ابنة ساره · ثم اخبرته الرئيسة عن سلوك الفتاة واطوارها وقد علمت انه يريد ان يخرجها من الدير فقالت

— البنت يا محترم نبيهة ذكية ، ولكنها عنيدة · وقحة · وعينها شاردة ،

ولسانها قالت · البنات في الدير لا يحببنهـا والراهبات يلاطفنها ويبذلن الجهد في اصلاحها ، وكثيراً مما يقاسين منها · اما انا فاعجب بذكائها واحبها · وقد بذلت جهدي في سبيلها ، فادخلتها المدرسة منذ ثلاث سنوات لما توسمت فيها من الذكاء · وهي الان تحسن القراءة والكتابة في اللغتين الافرنسية والعربية وتحسن الانشاء في اللغتين ايضاً · وقد اخبرتني المعلمة انها آية في الحفظ اذا قرأت امثولتها مرتين ترويها دون غلط · ويسرني ان اخبرك انها ابتدأت هذه السنة تصلح سلوكها فوعدتها بثوب المبتدئات

واخذت الراهبة تفرك يديها وهي تبتسم ابتسامة الارتياح والرضى ·

— وهل هي تميل الى الترهب ؟

— الفتاة لا تعرف صالحها · ومن كانت في عمرها لا ينبغي لها ان تسترسل في هوى قلبها · وانت تعلم يا محترم حالة هولاء البائسات اللواتي تقذف بهن الاقدار والمآثم الى هذا الدير · فاذا عشن دون قيد ودون ارشاد يقعن في ما وقعت به امهاتهن · فالدير بيتهن · وخلاصهن في الخدمة وفي الانقطاع الى الله · ومن نستأنس بها النباهة والورع والذكاء نرقيها · لذلك انصح لك ان تترك مريم عندنا ·

— ولكنها لا تحب الدير ولا تميل الى الترهب ·

فاضطربت الرئيسة وعمدت الى مسبحتها تلعب بها لتخفي اضطرابها · ثم قالت وصوتها يكشف ما حاولت اخفاءه ·

— ياقس جبرائيل انت اعلم بهولاء البنـات مني · فهن لا يعرفن

صالحهن . ومريم اكثرهن عاوة وجهلاً ، ولسانها عدوها الالد ، لا ينجو احد في الدير من شره ، تشتم البنات ، وتهين الراهبات ، وتعير حتى القس يوسف خادم الدير ، فقد قالت انه ليس مكسورة ترونه . دائماً تهين معلمتها وتقول فيها انها جنية تفتش عن مارد . لا اعلم من اين تجيئها هذه الالفاظ . ولكن اظن ان فيها شيئاً من اخلاق الجنيات . ألا ترى انها تشبه بنات النور؟ فكيف تكون حالة مثل هذه الفتاة اذا خرجت من الدير ؟ اتركها عندنا ولا تتعب رأسك . ليس مثل الدير بيت لتأديب النفس واقتلاع الاشواك منها . والاشواك في نفس مريم كثيرة طالما أدمت ايدينا . وانت تعلم اننا لا نوءذن لمثلها بالخروج من الدير لاننا مسوءولون عنها وما خرجت من عندنا خادمة الا وكان اسيادها راضين بها معجبين بسلوكها . ومريم لا تصلح خادمة . انا اعرفها ، واحبها رغم عنادها وقحتها وتهورها ، واحب ان اصلحها وارقيها ، وطالما جربتني ، فصبرت قائلة . من اجل آلامك يا يسوع . فلا تتعب يا قس جبرائيل رأسك بها . اتركها عندي .

فنهض القس جبرائيل عن كرسيه متبرماً واجابها قائلاً .

— يا حضرة الرئيسة توفيت امرأة صباح اليوم عندنا واوصتني ساعة نزاعها بمريم ، فقبلت الوصية ، فصرت مسئولاً عنها اكثر منك . سانظر اذاً في امرها واخبرك عما قريب ان شاء الله بما اعول عليه واظنه خيراً لها . نهارك سعيد .

نهارك سعيد ومبارك . صلي من شاني ولا تنسني في رسائلك

— دعاء الصالحين ·

وخرج من الدير كمن يخرج من بيت يحترق · او كمن يخرج من ردهة التشريح في المستشفى · قلبه كحبة الخردل ، ونفسه كليلة كانون ·

— دعاء الصالحين ! — دعاء الصالحين ؟ وهل في الارض صالح او صالحة يا رب ؟

وراح يخاطب نفسه ويساجلها فيرفع تارة صوته دون انتباه وتارة يقف في الطريق ليسمع صوت ضميره ·

— صحيح · صحيح · صحيح ما يشيعه الناس · صحيح ما طالما سمعت وكذّبت · بنات يولدن بالاثم ويربين في المفاسد · يأكلن خبز الاحسان وقد عجنته يد الحيف السوداء وخبزته يد الخبث الصفراء · تتصدق على الاشقياء والفقراء وتتبجح · نكد ابناء نعمتنا ونرهقهم ونصمهم فوق ذلك وصمة تلصقهم بحضيض الذل حياتهم · هذه المعاهد الفخيمة معاهد الاحسان المتعددة عندنا انما هي السبب الاكبر في دوام الذل والفقر والشقاء في بلادنا · هي التي تمهد للشاب طريق اثمه · هي التي تنير ظلمات الشقاء للامهات وللبنات فيشقين ، وا اسفاه ، بما يرين وما يعلمن · كيف لا وابواب الاديرة مفتوحة لاقتبال ثمرة ضلالهن وجهلهن ؟ بنت تولد في ظلمات المآثم فتربى في ظلمات الخيانة والفساد ليتها لم تولد · بنت ترضع حليب البغض وتأكل خبز المذلة وتحبس في الدير تأديباً لنفسها فتموت النفس من كثرة التأديب ولا يبقى من الشقية غير جسد تعذبه رئيساتها بالقضيب تارة وتارة بالرجاسة ·

ليتها لم تجبل طينة ذاك الجسد · خير لابناء الفقر والشقاء والاثم ان تقفل دونهم ابواب الشفقة والاحسان فيصلحون انفسهم بانفسهم او يموتون ويرتاحون — راهب يخطف ابنة من الدير ! فتاة تفر هاربة من الاسر والظلم فيفترسها احد ذئاب الشهوات · دير البنات ! هو مسلخ يسرق منه الجائع قطعة من اللحم · خارج الدير ذئاب كاسرة وداخل الدير حيات متورعة· فكيف تنجين ايتها الشقية ؟ مريم محقة بشكواها ، والرئيسة مصيبة بكلامها· اذا ظلت الفتاة في الدير تشقى ، وقد تشقى اذا خرجت منه · ولكن الغريزة التي تستنفر الفتاة من الدير اصدق من الحكمة التي تقضي باسرها · نعم · نعم · قد يخفي الثوب الاسود عيوبنا ولكنه لا يزيلها · والذين ينظرون الى الدير كالمجبس لا يجب ان يوءسروا فيه · اذا خرجت الفتاة منه وكانت حياتها حياة بوءس وشقاء ففي تحقيق رغبتها الاولى شيء من العدل والتعزية· لا · لا · لا · النفس لا تنمو بالاسر والتشذيب ، بل بالتربية والحرية · حرية المرء مقدسة · حريتك يا مريم مقدسة — مسكينة الرئيسة ! مسكينة الرئيسة — أتموت النفس جوعاً وقد فقدت حريتها ؟ أقبلة تحيي وقبلة تميت ؟ سكرة النفس تشفي مرض الجسد ، فهل تشفي سكرة الجسد مرض النفس ؟ — ألطف اللهم بنا · اغفر اللهم ذنوبنا · ذنوبنا ؟ ذنوبنا ؟ وهل تكون الامراض ذنوباً ؟ هل يُعد الضعف البشري اثماً — مسكينة · مسكينة !

(البقية تأتي)

جوائز الفنون

تنشيطاً للادب وتقديراً لاتعاب الادباء تعرض ادارة الفنون ثلاث جوائز مالية تقدمها للمبرزين في المباراة الادبية المشروحة ادناه

الجائزة الاولى — مائة ريال

الجائزة الثانية — خمسون ريالاً

الجائزة الثالثة — خمسة وعشرون ريالاً

تعطى الجائزة الاولى لمن يكتب أفضل مقالة ادبية او رواية قصيرة في مجلة الفنون ·

والجائزة الثانية لمن يكتب مقالة ادبية او رواية قصيرة تكون الثانية في الفوز بعد التي تحرز الجائزة الاولى

والجائزة الثالثة لمن ينظم أحسن قصيدة تنشر في الفنون

— شروط الجوائز —

١ — ان تُنشر المقالة او القصيدة في خلال سنة من تاريخ العدد القادم

٢ — ان يحكم فيها المشتركون الحقيقيون (اي الدافعون) فيكون لكل منهم صوت يقدمه عند نهاية السنة · تعطي الادارة الجائزة لمن يحرز اكثرية الاصوات ·

٣ — ان تكون مواضيع المقالات والروايات والقصائد مبتكرة اي غير مأخوذة عن لغة اجنبية او منشورة سابقاً ·

٤ — لا تنشر الادارة من المقالات والقصائد المقدمة اليها في هذه المباراة الا التي تستحق النشر

صور فظيعة

﴿ صورة الضمير ﴾

« لكل ضمير الف من الالسنة المتنوعة وكل لسان ياتي باحاديث مختلفة وكل حديث يلعنك ايها الظالم . » « شكسبير »

﴿ دقات الساعة ﴾

الاحلاف يقربون السيف من رقبة غليوم

﴿ بالأرمينيا ! ﴾

منقولة عن مجلة « نيوأرمينيا »

﴿ يد القضاء ﴾